الباحث : عنايت الله فتح الله فاتحي نجاد

استاذ مشارك، بجامعة آزاد الإسلامية في طهران و مدير قسم ترجمة دائرة المعارف الإسلامية الكبرى إلى العربية بمركز دراسات الإيرانية و الإسلامية – إيران، طهران

البريد الإلكتروني fatehieenayat@ymail.com

تحديات اللغة العربية في إيران، منذ الفتح حتى القرن الرابع ، دراسة تاريخية تحليلية

ملخص البحث

واجهت اللغة العربية في إيران تحديات و موانع عديدة منذ أن وطئتها أقدام المسلمين في العقود الأولى من القرن الأول الهجري إلى أن استقرت فيها و حظيت بقبول عام خلال القرنين الثانث و الرابع الهجريين و ذلك بعد مرورها و اجتيازها بعدة مراحل كما يلي ، أ : رفضها و إنكارها خلال القرن الأول ،2. المواجهة بين اللغتين العربية و الفارسية (القرن الثاني حتي أواسط القرن الثالث) 3. الإقبال عليها و التوفيق و التعايش بين اللغتين (القرن الرابع و ما يليه) . و يتطرق البحث الحاضر إلى تبيين صورة واضحة عن الظروف التي عاشتها اللغة العربية في إيران خلال تلك المراحل و دراسة أسباب رفضها أولاً ثم قبولها و الإقبال عليها بشكل واسع ، بالاعتماد على المصادر التاريخية و خصوصاَ التواريخ المحلية الفارسية التي تتضمن معلومات في غاية الأهمية بشأن الموضوع و للأسف أغفل عنها الباحثون. و بالتالي سيكون الهدف الرئيس من البحث الإجابة عن السؤالين التاليين : 1. لماذا لم تحظ اللغة العربية بإقبال واسع في إيران خلال القرن الأول 2. ما هي أسباب تغيير النظرة الإنكارية تجاه اللغة العربية عند الفرس و تحولها إلى نظرة تفاؤلية ترحيبية فيما بعد ؟

و الإجابة عنهما تتمثل فيما يلي: شعورالفرس المقهورين بالإذلال و الإزراء بعد أن كان لهم سيادة على العرب منذ قرون في عهد الأكاسرة ،وكذلك استيطان القبائل العربية في مختلف أرجاء إيران و نشوب الخلافات بينهم وأعمال العنف التي صدرت بين حين و آخر منهم و من قادة العرب الأولين و لاسيما الأمويين و تناقض تصرفاتهم مع الشريعة الإسلامية الأصيلة أحياناً، من أهم أسباب رفض اللغة العربية و إنكارها من قبل الفرس خلال القرن الأول و أوائل القرن الثاني . و لكن التحولات السياسية والتطورات العلمية و الثقافية

و الدينية التي أدت في نهاية المطاف إلى ظهور الحضارة الإسلامية منذ أواخر القرن الثاني و ما تلاه، حملت الفرس على التوجه إلى تعلم اللغة العربية للتعرف على هذه الحضارة الجديدة و مظاهرها فمنذ ذلك الحين تشكلت موجات هجرة المتعلمين و العلماء من إيران نحو المراكز العلمية و الثقافية في العراق . و من هؤلاء المهاجرين من عكفوا على تحصيل العلوم و اجتازوا أعلى الدرجات العلمية ثم رجعوا إلى ولاياتهم في إيران و اهتموا بتدريس و تعليم اللغة العربية إلى جانب العلوم الإسلامية ، و إنهم باعتبارهم الرعيل الأول من مروّجي اللغة العربية في أرجاء إيران مثلوا دوراً كبيراً في تغيير رؤية الفرس الإنكارية تجاه اللغة العربية و تحويلها إلى مواقف إيجابية متفائلة . ثم و في ظل مساعيهم تيسر للراغبين في العلم تعلم اللغة العربية و الشريعة الإسلامية داخل الأراضي الإيرانية دون أن يكونوا مضطرين للهجرة إلي العراق أو أي بلد إسلامي آخرو ذلك منذ أواخر القرن الثاني و لم يلبث حتى تأسست في مختلف ولايات إيران مراكز علمية و مدارس تخرّج منها علماء كبار و لم يكد ينتهي القرن الثالث للهجرة حتى حلت خراسان و الري و أصفهان و نيسابور و قزوين وغيرها محل البصرة و الكوفة و بغداد و ظهر فيها علماء و أدباء و شعراء ينطقون بالفارسية و يكتبون بالعربية .

مقدمة :

لاتتوفر لدينا معلومات كثيرة عن خلفية اللغة العربية و مكانتها في إيران قبل ظهور الإسلام و من المسلم به أن اللغة العربية في تلك الحقبة و في العهد الساساني لم تكن موضع اهتمام الفرس و لم يكن لدى عامة الناس دوافع تدفعهم نحو تعلمها، إلا أن هناك جماعات قليلة كانت الضرورة تقتضي أن تعرف اللغة العربية و يمكن ذكرها كما يلي : أ. المترجمون و أصحاب الدواوين الذين كانوا في خدمة البلاط الساساني و يختلفون بين عاصمة الدولة الساسانية و الحيرة حاضرة اللخميين (المناذرة) المدعومين من جانب الفرس 2. التجار الذين كان لهم التواصل مع بعض أقرانهم العرب و لاسيما من يرتادون بين سوق الأهواز و ما يشابهه من الأسواق الموسمية و الدائمة في نواحي العراق و الحجاز3. عدد من الفرس المتجاورين و المتعايشين مع القبائل العربية المنتشرة في مناطق من الحدود الغربية تحت سيادة أراضي الدولة الساسانية نحو المداين و تيسفون و الأنبار و على وجه الخصوص الحيرة حيث كانت الفرس و العرب تشكل سكانها و تسود فيها الفارسية و العربية و السريانية . 4. طوائف من العرب البدو المتمردين الذين هجّرتهم الدولة الساسانية من المناطق

الغربية على مقربة تيسفون إلى المناطق الجنوبية لإيران لإبعادهم عن نهب القرى و المدن الحدودية . و إضافة إلى ذلك هناك بعض الروايات تشير إلى أن بعض الملوك و الأمراء الساسانيين و منهم بهرام جور و كسرى أبرويز[1] كانوا ينطقون أحياناً باللغة العربية و مثل هذه الروايات فى أغلبها غيرموثوق بها. فمن الأحرى أن نترك هذه النماذج التي لاتستحق كثيراً من الاعتناء و نتطرق بالاختصارإلى المراحل الأولى من مواجهة الفرس اللغة العربية بعد فتح إيران:

1.المرحلة الأولى : **رفض اللغة العربية و إنكارها من قبل الفرس** (خلال القرن الأول الهجري)

بعد هزيمة الفرس في معركة نهاوند (21هـ/ 642م) وطأت أقدام العرب المسلمين أجزاء كبيرة من إيران و بذلك لم يتركوا للفرس إلا خيارين : اعتناق الإسلام أم دفع الجزية . و من اعتنق الإسلام كان مضطراً إلى تعلم اللغة العربية كأداة لفهم تعاليم الدين الجديد و خاصة أن قادة العرب بعد فتح كل مدينة و فرض هيمنتهم عليها أخذوا يلزمون سكانها تعلم القرآن و العلوم الإسلامية، كما ذكر مؤلف كتاب تاريخ سيستان [2] « أن ربيع الحارثي لما تولى حكومة سيستان من جانب معاوية سنة 46هـ أجبر الناس على تعلم العلم و القرآن و التفسير» . و بما أن فهم القرآن و الشريعة الإسلامية كان رهناً بتعلم اللغة العربية فكان العرب بعد السيطرة على المناطق المفتوحة يوجهون أفراداً من المعلمين و العلماء إليها لترويج الإسلام؛ كما قام وليد بن عقبة بعد فتح أذربيجان باستيطان جماعة من أهل العلم لتعليم سكانها اللغة العربية و العلوم الإسلامية [3] . و من العلماء الوافدين على مختلف ولايات إيران خلال هذه الفترة : بُريدة بن حُصيب بن عبدالله (تـ 63هـ) الذي قضى مدة في سيستان ثم توجه نحو مدينة مرو و توطن فيها جاهداً في نشر العلوم الإسلامية و الدعوة إلى الإسلام و بعد وفاته واصل دربه أولاده و أحفاده في تلك المنطقة [4] . و من خلال البحث و التنقيب في التواريخ الفارسية المحلية نحو تاريخ بخارى و تاريخ سيستان و تاريخ بيهق نعثر على أسماء عدد من العلماء و حتى من الصحابة و التابعين الذين توطنوا في مختلف أرجاء إيران أثناء القرن الأول الهجري بغرض ترويج الشريعة الإسلامية و ترغيب الناس على تعلم اللغة العربية و منهم على سبيل المثال حكم بن عمرو الغفاري و قريط بن أبي رمثة في نواحي مرو، أبو محمد سعيد بن جبير (تـ 95هـ) و سعيد بن عثمان بن عبد الأعلى و عبدالله بن يزيد الخطمي في أصفهان، قطري بن فجاءة و عبدالرحمن السمرة في سيستان (حوالى 80 هـ)، و أبورفاعة تميم بن أسيد العدوي وقطن بن عمرو بن الأهتم في نواحي نيسابور و بيهق [5] . و إضافة على ذلك جاء في تاريخ بيهق أن يزيد بن المهلب والى خراسان استقدم (حدود السنة 85هـ) عدداً من العلماء و المحدثين و الأدباء إليه و أقام في مدن خراسان مجالس تعليم القرآن و الأحاديث النبوية و

الشعر و الأدب و كان زياد الأعجم و مغيرة بن حبناء و قتادة بن مُغرب من جملة الشعراء و الأدباء الوافدين عليه [6] .

وعند دراسة مصيراللغة العربية في إيران والمسيرالذي سارت فيه خلال القرن الأول يجب الأخذ باعتبارموجات هجرة القبائل العربية إلى داخل الأراضي الإيرانية و استيطانهم في مختلف المدن و الأرياف. و كان العرب لتعزيز مواقعهم و بسط نفوذهم وهيمنتهم على المناطق المفتوحة يتخذون سياسة استيطان القبائل في المدن و الأرياف بعد الاستيلاء الكامل عليها . و لذلك نرى أن القرن الأول الهجري لم يكد ينتهي حتى استقرت جماعات كبيرة من مختلف القبائل و العشائر بكل عوائلها في مختلف مناطق إيران و سرعان ما تحولت المدن و القري و حتي الأرياف النائية إلى مستوطنات عربية [7] . و حسب اليعقوبي في كتابه البلدان نزلت جماعات من قبايل بني تميم ، بني ثقيف ، بني ضبة ، بني خزاعة، بني حنيفة ، بني عبدالقيس ، مذحج و بني همدان في النواحي المركزية من إيران منها قم و كاشان و اصفهان[8] ؛ و نزلت جماعات من قبائل طيء ، مضر ، ربيعه و بني شيبان و أرهاط من القبائل اليمنية في نواحي خراسان نحو طوس، مرو و هراة و فئات كثيرة من بني عجل في مدينة سرخس. كما أصبحت حلوان ، دينور، نهاوند ، قزوين ، نيشابور و بخارى تحت هيمنة القبائل العربية النازحة [9]. و حسب رواية البلاذري[10] اهتم زياد بن أبيه حاكم الكوفة (حوالي سنة 44هـ) بمواصلة استيطان العرب في الأراضي الإيرانية حتي بلغ عددهم في سنة 50 هـ في خراسان خمسين ألف و لم يلبث حتى ارتفع هذا العدد إلى 200 ألف نسمة [11] . و قدّم الطبري خلال سرده حوادث السنة 90 هـ و في معرض حديثه عن مقتل قتيبة بن مسلم ، إحصاء عن عدد أفراد القبائل العربية المتورطة في قتله في خراسان كما يلي : مقاتلو البصرة تسعة آلاف، أفراد من قبيلة بني بكر سبعة آلاف، من قبيله بني تميم عشرة آلاف ، من عبدالقيس أربعة آلاف ، من الأزديين عشرة آلاف ، أهل الكوفة سبعة آلاف و الموالي سبعة آلاف[12]. و هذا الكم الهائل من العرب في خراسان يكون نموذجاً واضحاً على تواجد القبائل و العشائر العربية المكثف في مختلف النواحي و المدن الإيرانية. خلال القرن الأول الهجري.

و أخذ هذا العدد يزداد يوماً بعد يوم ولاسيما بعد غزو العرب على المناطق الشمالية من إيران حيث استوطنت جماعات من قبيلة الأزد في جرجان و توجهت طائفة أخرى منهم نحو أذربيجان. و في نفس الوقت أنزل عبدالله بن طاهر طوائف من أعراب البادية إلى مدن خراسان و منها نيشابور[13] . و باتت سيستان هي الأخرى حيث احتضنت جماعات من بطون بني تميم و بني بكر[14].و رغم الجهود الحثيثة التي بذلها حكام العرب في ترويج و نشر اللغة العربية في إيران و تلك من وراء إرسال المعلمين و العلماء إلي مختلف المدن

و كذلك استيطان القبائل العربية في كثير من المدن و الأرياف إلا أن هذه الجهود في معظمها باتت بخيبة الأمل وإن اللغة العربية لم يلق إقبالاً ملحوظاً من قبل الفرس خلال القرن الأول الهجري .

و إذا أردنا البحث عن أسباب ذلك فعلينا إطلاق الضوء على الأوضاع الاجتماعية و السياسية في إيران آنذاك بالاعتماد على السرديات التاريخية الموجودة في التواريخ المحلية لكي نحصل على صورة واضحة عما جرى في أرض الواقع و نطلع على موقف الإنسان الفارسي الذي عاش تلك الحقبة المليئة بأحداث مأساوية . و إذا عرفنا ذلك سنعرف أسباب ردود فعله السلبية تجاه اللغة العربية و التي أفضت إلى إفشال جميع الجهود المبذولة في نشرها خلال هذه الفترة ، بينما لم تمض إلا فترة وجيزة بحدود قرن أو أقل منه حتى أقبل الفرس على اللغة العربية و تعلمها بكل شوق و رغبة و من ثم احتضنوها بكل شحمهم و لحمهم كاحتضان الأم طفلها الرضيع.

و الآن ننتقل إلى هذه الأسباب و نذكرها بالاختصار فيما يلي:

لقد اتخذ الحكام الأمويون في تعاملهم مع غير المسلمين في البلدان المفتوحة سياسات عنيفة تتناقض مع سنة رسول الله (ص) في كثير من الأحيان مما أدى إلى تشويه الصورة الحقيقية للإسلام و المسلمين عند الشعوب المقهورة باعتبارها الأمويين ممثلين للإسلام و الشريعة الإسلامية. و هناك قرائن عديدة تشير إلى انتهاك النظام الأموي و خلفائه سنة الرسول الأعظم (ص) و الخلفاء الراشدين في كثير من المجالات . علي سبيل المثال كان تعامل النبي (ص) مع الزرادشتيين تعامل أهل الكتاب نفسه و حسب رواية البلاذري [15] لمّا ولّى رسول الله (ص) أبا زيد على عمان أمره بأخذ الزكاة من المسلمين و الجزية من الزرادشتيين . و ما يدل على متابعة هذه السنة في عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) هو المعاهدات التي تم عقدها في أيامهم و منها معاهدة حبيب بن مسلمة مع أهل دبيل في أرمينيا حيث ذُكر فيها المجوس من أهل الكتاب و عليهم دفع الجزية . و أورد البلاذري نص المعاهدة في فتوح البلدان [16] . و رغم كل ذلك ما إن تولى الأمويون الخلافة حتى تخطّوا عن سنة رسول الله (ص) و الصحابة الصالحين بشأن أهل الذمة و منهم الفرس الزرادشتيون . و وردت في التواريخ الإيرانية المحلية روايات عديدة تشهد بذلك كما تكشف عن مدى قسوة ممارسات العنف التي ارتكبوها بحق الفرس و أهل الذمة المتمثلة في إحراق المعابد الزرادشتية و الإبادة الجماعية و أقسام التعذيب و الإهانة و التحقير في مختلف المدن و لاشك أن هذه التصرفات اللاشرعية و اللإنسانية في بعض الوقت من أهم أسباب إعراض الفرس عن العرب و اللغة العربية في هذه الحقبة الزمنية و نذكرنماذج منها فيما يلي:

جاء في تاريخ سيستان أن عبيدالله أبي بكرة لما تولى في السنة 50هـ الحكم في سيستان تلقى خطاباً من زياد بن أبيه يأمره بقتل جميع الزرادشتيين و إحراق معابدهم ، و هذا الأمر أساء كثيراً الفرس المسلمين فيها و جرح شعورهم حتى خرجوا إليه و احتجوا على فعلته النكراء معلنين بصراحة : إن ما فعلته بحق الذميين يتغاير مع سنة رسول الله (ص) و الشريعة الإسلامية، و بذلك تكاد تقوم ثورة في سيستان [17].

نموذج آخرجاء في تاريخ الطبري وهو أن يزيد بن المهلب هجم في سنة 98هـ هجوماً عنيفاً دموياً على جرجان و قتل 40 ألفاً من أهاليها ثم أمر بمطاردة الهاربين و القبض عليهم و لما أحضروا جماً غفيراً منهم أمر الوالي بنصب أخشاب الإعدام فرسخين في فرسخين و أعدمهم عن بكرة أبيهم [18] .

علاوة على ما ذكرناه فإن قضية إستيطان القبائل و العشائر في مختلف البلدان الإيرانية لم تساعد قادة العرب فيما يهدفون إليه و هو سيادة اللغة العربية و إحلالها محل اللغة الفارسية و إنما زادت الطين بلة في بعض الأحيان و ذلك لعدة أسباب ، أولاً : كل قبيلة من هذه القبائل كانت تنطق بلهجة خاصة بها و لم تكن هناك لغة موحدة معيارية متفق عليها؛ ثانياً : هذه القبائل كانت مدعومة من قبل النظام الأموي الذي فرض إسكانها على أهالي المدن بقوة السيف و أشد العنف، و كما جاء في بعض الروايات أن والي بخارى في أول أمره استدعى أشراف المدينة و لما مثلوا بين يديه، اختار من بين أكابرهم سبعين رجلاً ثم أمر السياف بقطع أعناقهم على رؤوس الأشهاد ليكونوا عبرة للجميع و لمن يرفض مجاورة العرب و إسكانهم . و في رواية أخرى يقول النرشخي في تاريخ بخارى: «إن قتيبة بن مسلم والى خراسان رأى من الصواب أن يأمر أهل بخارى بإسكان عوائل النازحين في منازلهم و فرض على كل منهم أن يقسم بيته إلى نصفين: نصف له و نصفه الآخر للعرب لتكون لهم مساكن و يكونوا عليهم عيوناً » [19] .

ثالثاً : إن القبائل النازحة إلى أرجاء إيران أغلبيتها من قبائل البدو غير المتعلمة تعاني من الفقر مادياً و ثقافياً و تنطق كل واحدة منها بلهجتها الخاصة لاتعرف اللغة العربية الفصحى و لا شيئاً كثيراً عن الإسلام و الشريعة الإسلامية و لذلك كان من المستبعد أن تؤثر لغة و ثقافة على الشعب الإيراني الذي كان يرى نفسه صاحب حضارة أعرق و ثقافة أرقى . و من جهة أخرى نرى أن هذه القبائل لم تكد تستقر في مدينة أو ولاية حتى تظهربينهم العصبيات القبلية التي تؤدي إلى حدوث منازعات واسعة يتنازعون فيها على الممتلكات و الأراضي التي أخذها حكام النظام الأموي قسراً من أصحابها المحليين و أقطعوها إياهم و لذلك لم يلبث حتى انشغلوا بمثل هذه الصراعات و بإدخار الأموال و التمتع بالثروات و الأراضي الخصبة و نسوا تدريجياً مهمتهم الرئيسية و هي نشر اللغة العربية و الشريعة الإسلامية . و على سبيل المثال جاء في تاريخ قم [20] :« أن العرب الأشعريين النازحين إلى قم نزلوا في أول أمرهم في خيام سود من الوبر و لما تمكنوا بها بنوا القصور

و العمارات الفخمة فيها ». و في رواية أخري يقول المؤلف نفسه:« إن أولاد مالك بن عامر الأشعري و جماعة من العرب دخلوا قم سنة 82هـ و لم يلبث حتى اكتسبوا كثيراً من الأموال و الممتلكات و عندئذٍ كتبوا إلى بني أعمامهم و أقاربهم و أخبروهم بها و بما ينعمون به من الدعة و الرخاء، فسرعان ما إنحدرت جماعات منهم و على رأسهم سائب بن مالك إلى المناطق المركزية من إيران حتى بلغ عدد العرب فيها 6 آلاف شخص»[21].

ففي مثل هذه الظروف لم يكن للفرس دافع قوي يدفعهم نحو تعلم اللغة العربية و انما المسلمون منهم لم يتعلموا من العربية إلا آيات من القرآن الكريم و الصلوات الخمس و بعض الأحاديث النبوية و بلغ الأمر إلي أن عدداً منهم رأوا من الصواب التمسك بلغتهم الفارسية و الاحتفاظ بها دون اللغة العربية و لم يرضخوا للأحكام الإسلامية و العقود و أداء الصلاة إلا في إطارلغتهم ، و يقول في ذلك مؤلف تاريخ بخارى: « كان أهل بخارى في أول إسلامهم يؤدون الصلاة بالفارسية لم يقدروا على تعلم العربية »[22] . و من ثم أثار موضوع أداء الصلاة بالفارسية بحثاً طويلاً في الأوساط الفقهية و جدلاً واسعاً بين الفقهاء من مؤيديه و معارضيه.

2ـ المرحلة الثانية : **المواجهة بين اللغتين العربية و الفارسية** (القرن الثاني حتي أواسط القرن الثالث)

تدل بعض الشواهد على أن اللغة العربية في إيران في أوائل القرن الثاني لاتزال لغة العرب النازحين و لم يتعلمها إلا طبقات خاصة من الشعب الإيراني بحكم الضرورة نحو أصحاب المناصب الحكومية و كُتاب الدواوين و المترجمين و عدد من المؤدبين و المعلمين في الكتاتيب ، و اما أغلبية الناس فإنهم ينطقون باللغة الفارسية و بلهجاتها المتعددة . وإن أردنا عرض صورة دقيقة نسبياً عن المواجهة بين اللغتين في هذه الحقبة الزمنية سيكون المشهد على النحو التالي :

أولاً ـ انطفأت نيران الحروب و المعارك العنيفة و عمليات كر و فر بين العرب و الفرس إلى حد كبير، و في معظم البلدان و الولايات حل الهدوء محل الاضطراب و الفوضى ماعدا في خراسان حيث ظهرت طلائع الثورة التي أدت في نهاية المطاف إلى ظهور الدعوة العباسية . و ما يجدر بالانتباه أن اللغة العربية حتى في مثل هذه الظروف لم تكن محظوة بقبول عام و تقول لنا الروايات إن أبا مسلم الخراساني الذي كان يتقن اللغتين الفارسية و العربية قد يتكلم مع أصحابه باللغة الفارسية و حسب ما أورده ابن خلكان كان عدد الناطقين بالفارسية في معسكره أكثرمن الناطقين بالعربية [23] شأنهم شأن أصحاب المختار الثقفي قبله الذي انتقده

عمير بن الحباب بعد الالتقاء به في معسكره قائلاً : لقد اشتد غمي مذ دخلت عسكرك و ذلك أني لم أسمع فيه كلاملاًعربياً [24] .

ثانياً ـ إن كثيراً من المدن و الأرياف احتضنت جماعات من القبائل العربية التي يتكلم أفرادها بلهجات خاصة بهم و أصبح الفرس متعودين شيئاً و شيئاً على التعايش و التواصل معهم بعد ما تعلم عدد منهم اللغة العربية و في المقابل أخذ بعض العرب ينطقون بالفارسية.

ثالثاً ـ على الرغم من تواجد ذاك الكم الكبير الهائل من القبائل العربية المستوطنة في مختلف أرجاء إيران و بالرغم الجهود التي بذلها الحكام العرب من تشكيل مجالس الوعظ و العلوم الإسلامية و الشعر و الأدب بغية نشر اللغة العربية و الشريعة الإسلامية و حتى إرغام الناس على تعلمها، لكن عامة الناس لم ينزعوا إلى تعلم اللغة العربية إلا قليلاً منهم و إن صارعددهم أكثر من سابقيهم . و مع كل ذلك لم تزل اللغة الفارسية سيد الساحة في هذه الفترة لا في مدن إيران فقط و بل تسود مناطق من مدن العراق نحو البصرة و الكوفة و بغداد حيث كان الموالي و كذلك جماعة من العلماء الفرس المقيمين فيها يؤثرون الكلام بالفارسية و يتحدثون مع البعض بها و منهم على سبيل المثال الحسن البصري (تـ 110هـ) من علماء التابعين في البصرة و هو كاتب الربيع بن زياد الحارثي. و جاء عنه في تاريخ سيستان أن الحسن البصري مع إتقانه اللغة العربية و مكانته الرفيعة في العلوم العربية يتحدث بالفارسية في محادثاته اليومية [25] . و نظيرها روايات أخرى نُقلت بشأن علماء آخرين مثل جبرائيل بن بختيشوع و جرجيس بن جبرائيل (تـ حوالي 152هـ) و من بينهم موسى الأسواري حيث يقول عنه الجاحظ في البيان و التبيين : « إن موسى بن سيّار الأسواري، وكان من أعاجيب الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به، فتقعد العرب عن يمينه، والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يدري بأي لسان هو أبين »[26]. و كذلك قيل عن فضل بن سهل وزير الخليفة المأمون أنه أرسل أبناءه من بغداد إلى خراسان لكي يتعلموا الفارسية عند علماء الفرس [27].

و إضافة على ما ذكرناه فإن القرن الثاني من الهجرة النبوية شهد صراعات بين تيارين العربي و الفارسي بعد ظهور الشعوبية و بلوغ ذروتها؛ و بغض النظر عن أسباب ظهورها و استمرارها فإنها صبت الزيت على نار المنازعات و التعصبات بين الفرس و العرب و التي انتهت إلى الصراع بين اللغتين الفارسية و العربية و وُجدت أثناءه روايات مزورة مختلقة يتهم فيها المؤيدون و المتعصبون لكل منهما الآخر بأنواع التهم من قبيل : « أبغض الكلام إلى الله عز و جلّ الفارسية » ، أو« إن اللغة العربية لغة أهل الجنة و الفارسية لغة أهل النار» . و فى المقابل المؤيدون للتيار الفارسي لم يكونوا مكتوفي الأيدي في الاختلاق و التزويرمثل

ما يلي : « إن الملائكة الذين يحملون العرش يتكلمون بالفارسية الدرية». أو نعوذ بالله « قال رسول الله (ص) إن الله تعالى إذا غضب أنزل الوحي بالعربية و إذا رضي أنزل الوحي بالفارسية » [28] . و لم ينته الأمر إليه و قام كلا االطرفين بتأليف كتب في الرد على الثاني تحت عناوين فضائل الفرس، مثالب العرب، فضل العرب على العجم ، تفضيل العرب على العجم ، و قد انكمش نطاق هذه الصراعات شيئاً فشيئاً و خاصة بعد نكبة البرامكة و طردهم من البلاط حيث انهزم التيار الفارسي و خلا الجو لمعارضيه ليتهموا العلماء و الشعراء و الرواة من الموالي الفرس بالزندقة و الإلحاد .

3- المرحلة الثالثة : **إقبال الفرس على اللغة العربية والتوفيق و التعايش بين اللغتين** (أواخر القرن الثالث وما يليه)

منذ أواخر القرن الثاني حتى أواسط القرن الثالث حدثت تطورات على الساحة السياسية و الاجتماعية و الثقافية في كلا المجتمعين الإيراني و العراقي أدت إلى تغيير رؤية الفرس تجاه اللغة العربية نذكرها بالاختصار فيما يلي :

إثر سقوط الدولة الأموية و اعتلاء العباسيين عرش الخلافة، وقعت مقاليد الحكم و المناصب العالية في بلاط الخلفاء بأيدي الفرس و خاصة منذ عهد الخليفة المنصور إلى عصرالمأمون و منهم البرامكة و آل بختيشوع و آل سهل و آل النوبخت ، و تزامناً مع تواجدهم في البلاط العباسي و توسع نشاطاتهم في الأوساط العلمية حدثت تطورات خطيرة تحولت إثرها بغداد و الكوفة و البصرة إلى أكبر و أرقى المراكزالعلمية و الثقافية و منها :1. تأسيس المكتبات و المستشفيات و المراصد و المدارس تقليداً من المراكز العلمية في العهد الساساني و لاسيما محاكاة لمدرسة جندي سابور التي كانت لها شهرة كبيرة آنذاك و جاء تأسيس بيت الحكمة على شاكلتها؛ 2. انتقال عدد كبير من الأطباء و العلماء و المترجمين من جندي سابور إلى بغداد بدعوة من البرامكة و بدعم من الخلفاء ، 3. انطلاق حركة الترجمة التي أدت إلى نقل مؤلفات كثيرة في الطب و الفلسفة و الرياضيات و النجوم و الكيمياء من البهلوية و السريانية و اليونانية إلى العربية و من أشهرالمترجمين: ابن المقفع، محمد بن الجهم البرمكي، زادويه بن شاهويه الأصفهاني، محمد بن بهرام الأصفهاني، عمر بن فرخان، بهرام بن مردان شاه، يوحنا بن ماسويه، حنين بن إسحاق، ثابت بن قرة و أبان بن عبدالحميد اللاحقي[29] ، 4. انطلاق حركة جمع و تدوين الروايات الشفهية في مختلف المجالات الدينية و التاريخية و الأدبية التي أفضت إلى انقاذ التراث العربي من آفة النسيان و التلف و الانتحال الأكثر و بالتالي ظهور الكتب عند العرب.

و كانت هذه التطورات العلمية و الثقافية إيذاناً بدخول بغداد إلى فترة ذهبية من الازدهار و الرقي وتألق حضارة جديدة راقية في آفاقها. و كما أن مظاهر الحضارة بما فيها من التقدم العلمي و الازدهار الثقافي تملأ العيون و تجذب القلوب فإن لغة الأمم المتحضرة أيضاً جذابة خلابة. فمنذ ذلك الحين أصبحت اللغة العربية باعتبارها لغة العلم و الثقافة و الحضارة تمتد جذورها ما وراء الحدود لتسود رقعة كبيرة من الأمصار، فصار تعلمها يدعو إلى الفخر و الاعتزاز. وفي مثل هذه الظروف أقبل الفرس على تعلم اللغة العربية بصفتها لغة العلم والحضارة و لغة القرآن و الدين. و من ثم استخدموها في كتاباتهم دون أن يتركوا اللغة الفارسية التي ينطقون بها . و ذلك طليعة التصالح بينهم و بين اللغة العربية . و إذا كانت اللغة العربية في إيران تواجه خلال القرن الأول الإنكار و الرفض ؛ و خلال العقود الأولى من القرن الثاني كثيراً من المواجهات و الجزر و المد، فمنذ القرن الثالث وجدت إقبالاً و ترحيباً و ترسخت أقدامها في الأواسط العلمية في أرجاء إيران و ما تسبب في تسريع نشرها و توسعها فيها خلال هذه الفترة هو التواصل العلمي و الثقافي العميق بين ولايات إيران و مدن العراق حيث هاجرعدد كبير من الراغبين في العلم نحو بغداد و البصرة و الكوفة للحضور في مجالس العلم و البحث و الدرس و بذلك تشكلت موجات هجرة الفرس من إيران إلى البلدان العربية منذ أواخر القرن الثاني؛ و من هؤلاء المهاجرين من عكفوا على تحصيل العلوم حتى اجتازوا أعلى الدرجات العلمية ثم رجعوا إلى ولاياتهم في إيران و اهتموا بتدريس و تعليم اللغة العربية إلى جانب العلوم الإسلامية ، و إنهم باعتبارهم الرعيل الأول من مروّجي اللغة العربية في أرجاء إيران مثلوا دوراً كبيراً في نشر اللغة العربية و في تغيير رؤية الفرس تجاهها. و عثرنا على طائفة منهم بعد البحث و التنقيب في طيات التواريخ المحلية و نذكر عدداً منهم كنماذج على النحو التالي : 1. أبو إسحاق إبراهيم بن غيث من أهالي أصفهان ، ذكره حمزة بن الحسن الأصفهاني في كتاب تاريخ اصفهان و نقل عنه ياقوت الحموي: رحل إلى العراق و درس على أبي عبيدة معمر بن المثنى و أبي زيد الأنصاري و علماء آخرين و تعلم النحو و اللغة و التاريخ و تبحر في مختلف العلوم ثم عاد إلى موطنه أصفهان و أقام حلقات التدريس (حوالي 180هـ) [30] . 2. أبو أحمد عيسى بن موسى الغنجار من أهالي بخارى ذكره النرشخي في تاريخ بخارى قائلاً : رحل إلى العراق و سمع الحديث من علمائها ثم سافر إلى الحجاز و تعلم عن شيوخها ثم رجع إلى إيران و أصبح من أفاضل المحدثين في ماوراءالنهر و توفي سنة 185هـ [31]. 3. نضر بن شُميل وُلد في مرو ثم رحل إلى البصرة و درس على خليل بن أحمد الفراهيدي و هشام بن عروة و عبدالله بن العون و قضي فترة طويلة عند البدو لتثقيف لسانه و إتقانه اللغة العربية الفصحى. و سرعان ما أصبح إماماً في اللغة و الحديث ثم عزم على العودة إلى مسقط رأسه حيث اشتغل بتدريس اللغة و الحديث و ألّف مصنفات قيمة ،حتي توفي في سنة 204هـ . 4. حسن بن

عبدالله الأصفهاني المعروف باللغدة درس على إبراهيم بن غيث أولاً في أصفهان ثم سافر إلى العراق و تعلم العلوم العربية و الشعر و الأدب ثم رجع إلى أصفهان و اشتغل بالتدريس [32].

و في ظل مساعي هؤلاء العلماء و أمثالهم أخذت اللغة العربية خلال القرن الثالث يتوسع نطاقها بسرعة فائقة و لم يلبث حتى تأسست في مختلف ولايات إيران مراكز علمية ومدارس دينية احتضنت مئات الطلاب و بذلك تيسر تعلم اللغة العربية و الشريعة الإسلامية داخل الأراضي الإيرانية دون أن يكون طلبة العلم و المتعلمون مضطرين للهجرة إلي العراق أو أي بلد إسلامي آخر و لم يكد ينتهي هذا القرن حتى حلت خراسان و الري و أصفهان و نيسابور و قزوين و بلاد ماوراء النهر محل البصرة و الكوفة و بغداد و ظهر فيها علماء و أدباء و شعراء ينطقون بالفارسية و يكتبون بالعربية . و لا نبالغ لو قلنا إن الكتابات و الرسائل التي كُتبت خلال القرنين الثالث و الرابع في ولايات إيران و على أيدي أمثال صاحب بن عباد، ابن العميد ، أبي بكر الخوارزمي و أبي حيان التوحيدي من أرقى نماذج النثر العربي . كما أبدع بديع الزمان الهمداني فن المقامات في هذه الفترة و هولم يرحل إلى أي بلد عربي و قضى طول عمره في همدان و جرجان و نيسابور و ناهيك عن أمثال ابن سينا و أبي ريحان البيروني و أبي بكر الرازي و الفارابي باعتبارهم من ألمع الوجوه العلمية التي شهدتها القرن الرابع و ما تلاها . و إن دراسة اللغة العربية في إيران منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا ما يتطلب مجالاً آخر لايستوعبه هذا المقال . و هو ما يوصى به في نهاية هذا البحث متمنياً أن يخضع للبحث و الدراسة في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى .

الهوامش

1. ابوحنيفة الدينوري، الأخبار الطوال ص 51، 91

2. تاريخ سيستان ص 91

3. البلاذري، فتوح البلدان ص 509

4.البلاذري، ص 400

5. ابن الفندق، تاريخ بيهق، ص 23- 25؛ النرشخى، تاريخ بخارى، 241، 243؛ ابن حيان الأنصارى 1/ 253، 258، 315

6.ابن الفندق تاريخ بيهق ،ص 83- 84

wellhausen,307.7

8.يعقوبي ، البلدان ،ص 38-39

9.القمي، تاريخ قم، 738؛ تويسركاني،ص 12

10.البلاذري، فتوح البلدان ،410

wellhausen,307.11

12.الطبري، تاريخ، 4/ 37

13.ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 3/ 16، 18

14.القمي، تاريخ قم،ص 683، 736؛ ناصر الشريعة 39، 43، 46

15.فتوح البلدان، ص 69، 70

16.البلاذري، فتوح البلدان، ص 267

17.تاريخ سيستان، ص 92- 93

18.الطبري، 4/ 55

19.تاريخ بخارى،ص 22

20. القمي،تاريخ قم، ص 44- 45

21.القمي، تاريخ قم،ص 683، 736

22. تاريخ بخارى 66- 67

23. ابن خلكان ، 7/ 357؛ صديق،ص 109

24.أبوحنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص 294

25. تاريخ سيستان، ص 92؛ ابن سعد، الطبقات، 7/ 123

26. الجاحظ، البيان و التبيين، 1/ 293

27. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 3/ 16، 18

28. إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، ص 198

29. ابن النديم، الفهرست، 132، 341، 424؛ أبوالريحان البيروني ، الآثار الباقية، ص 142

30. ياقوت الحموي، معجم الأدباء،8/ 140

31.النرشخي، تاريخ بخارى،ص 144

32. ياقوت الحموي،معجم الأدباء 8/ 139- 142، نقلاً عن تاريخ أصفهان

المراجع

إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية 1970م، دارالمعارف بمصر.

ابن حيان الأنصاري، طبقات المحدثين بأصبهان 1992م، تحقيق عبدالغفور عبدالحق، بيروت.

ابن خلكان، وفيات الأعيان 1978م، تحقيق إحسان عباس، بيروت.

ابن سعد، طبقات الكبرى1968، تحقيق إحسان عباس، بيروت

ابن الفندق ، تاريخ بيهق 1361، تحقيق أحمد بهمنيار، طهران

ابن النديم، الفهرست 1350هـ، تحقيق رضا تجدد، طهران

أبو حنيفة الدينوري ، الأخبار الطوال 1960م، تحقيق عبدالمنعم عامر، القاهرة

أبو الريحان البيروني، الآثار الباقية 1933م، تحقيق إدوارد زاخاو، لايبزيغ

البلاذري، فتوح البلدان 1978، تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت

تاريخ سيستان(مجهول المؤلف) 1314هـ، تحقيق محمدتقي بهار، طهران

الجاحظ،البيان و التبيين 1988م، تحقيق أبوملحم ، القاهرة.

الطبري، تاريخ الطبري 1988م، بيروت

القمي، حسن، تاريخ قم 1313، تحقيق جلال طهراني، طهران

ناصر الشريعة، محمدحسين، تاريخ قم 1339، تحقيق علي دواني، طهران

النرشخي، محمد، تاريخ بخارا1351، تحقيق مدرس رضوي، طهران

ياقوت الحموي، معجم الأدباء 1355- 1357، تحقيق مارجليوث، القاهرة

اليعقوبي، البلدان 1957م، النجف، العراق

wellhausen,J., Das arabische Reich und sein Sturz, Berlin, 1902